I- الإمبراطور دقلديانوس 284 – 305م ومحاولات الإصلاح

أهم إصلاحاته :

أ – تقوية نفوذ الإمبراطور .

ب – إعادة تنظيم الجهاز الحكومي .

ج - تجديد نظام الجيش .

بدأ بإقرار الأمن والنظام في مختلف الولايات وأخضع الثورات التي قامت في جهات مختلفة. كما قام بصد هجمات البرابرة على جبهتي الراين والدانوب، وتصدى لهجمات للفرس سنة 297م.

1 – أعاد تنظيم الجهاز الحكومي بحيث قضى على التفرقة بين ايطاليا والولايات الأخرى .

2 – قسم الإمبراطورية إلى أربعة إقليم كبرى على رأس كل منها حاكم إداري يتمتع بلقب أوغسطس أو قيصر، حيث كان هؤلاء متضامنين ومشاركين معا في غالة وإليريا وايطاليا والشرق. حيث جعل نيقوميديا مقرا لحكمه واحتفاظه بلقب الإمبراطورية ووظيفتها وبيده السلطة العليا والاشراف على الدولة وهو القائد الاعلى للجيش، ومن اجل سيطرته قسم الأقاليم الكبرى إلى وحدات صغيرة كما قسمت بدورها إلى ولايات يتولى كل منها حكام ونواب.

3 – قام الإمبراطور الرومانى دقلديانوس بإصلاح النظم المالية والضرائب التي حاول أن يجعلها عادلة . و سك عملة رومانية جديدة. كما قام بوضع تسعيرة على السلع. كما انه أيضا قام بمسح الأراضي الزراعية لوضع الضريبة المناسبة، غير أن إصلاحاته جاءت متأخرة.

4-الناحية العسكرية: إنشاء قوات متحركة لصد الهجمات بالإضافة إلى الاهتمام بالحرس الإمبراطوري واهتم بالقلاع والأبراج لمراقبة الطرق،كما استخدم المرتزقة من الجرمان ومنهم من وصل إلى مراتب عليا.

موقفه من المسيحية:

وقد شكل انتشار المسيحية هاجسا للإمبراطورية، ولم يبادر بالاضطهاد تجاه المسيحيين لأن زوجته وابنته كانتا مسيحيتين، بل حتى من خدمه، ولهذا حاول أن يقرب بين المسيحية والوثنية وجعل نفسه في حمى جوبتير اما شريكه في الحكم ماكسيميان فقد جعله تحت حماية هيراكليس ابن جوبتير، ولكن فئة كبيرة من الرومان الذين اعتنقوا المسيحية لم تقبل بعبادة كائن حي ولو كان الإمبراطور نفسه، واعتبر دقلديانوس ذلك إهانة له وخيانة عظمى فبدأ باضطهاد المسيحيين.

II- الإمبراطور قسطنطين 305 – 337م

قامت حرب أهلية بعد وفاة الإمبراطور دقلديانوس ،إلى أن نجح الإمبراطور الجديد قسطنطين فى توحيد العرش الروماني323م.

احتل الإمبراطور قسطنطين مكانة هامة فى التاريخ الانسانى والعالمي بسبب الأعمال التى قام بها . وأهمها:

1 – الاعتراف بالمسيحية، مرسوم ميلان313م

2 – بناء مدينة القسطنطينية . سنة324م.

إصلاحات الإمبراطور قسطنطين

1 – ادخل الحكم الوراثي للإمبراطورية .
2 –تقليص أعداد الفرق العسكرية .

3 – ضاعف الضرائب والخدمات الجمركية .

III- الإمبراطورية الرومانية بعد حكم الإمبراطور قسطنطين:

عقب وفاة الإمبراطور، تمكن ابنه قنسطنطيوس من الاحتفاظ بالعرش الإمبراطوري، وهذا بعد أن تخلص من منافسيه من إخوته، وجعل يوليان Julien قيصرا سنة 355م، وكان من أبرز القادة العسكريين وذا كفاءة في مواجهة القبائل الجرمانية. وكاد النزاع يندلع بين الإمبراطور وقيصره، إلا أن المنية عجلت بوفاة قنسطنطيوس، فأصبح يوليان إمبراطورا سنة 361م، الذي تميز بحياة البساطة والتقشف بعيدا عن الترف، له فلسفته في الحياة. وقد كان يوليان يكره المسيحية، ويبجل الوثنية عنها، كما أنه أخذ الامتيازات من رجال الدين، ووهبها مرة أخرى لكهنة المعابد الوثنية. ومن مراسيمه حرمان تعليم أبناء المسيحيين العلوم اليونانية، لأنهم كانوا رافضين دخول المدارس الوثنية، ومبرره في ذلك أنه لا يحق لمن يعتنقون المسيحية الساذجة أن يتعلموا العلوم الجليلة كالآداب والفلسفة اليونانية. ولما تولى الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius (378-395م) عرش الإمبراطورية، أصدر أوامره بغلق معابد الوثنية وتحطيم أوثانها ومصادرة أملاك الوثنيين، وبهذا ستعود الكفة لصالح المسيحية، بل ستصبح دينا رسميا للإمبراطورية.

IV- أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية:

يمكن حصر الأسباب التي عجلت بانهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها في:

أسباب داخلية ومنها: سوء أوضاع الجيش وظهور الحركات الانفصالية، بالإضافة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية. أما أسبابها الخارجية فتتمثل في: تزايد الخطر الفارسي من الجهة الشرقية، الذي ألحق بالإمبراطورية هزائم متتالية، كما أن هناك خطرا آخر لا يقل أهمية عن سابقه، والمتمثل في خطر البرابرة على جبهتي الدانوب والراين، إذ عجزت الإمبراطورية عن صد هجمات هؤلاء، كما عجزت عن توفير الأمن لمواطنيها، خاصة في المناطق الحدودية.